التجريد

وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة آخر مثله فيها مبالغة، وذلك لكمال تلك الصفة في الأمر الآخر.

والتجريد أقسام:

١- منها ما يكون التجريد فيه حاصلاً بلفظة«من»التجريدية، نحو قولهم: **«لي من فلان حميم»** [(١)]. أي بلغ فلان من الصداقة حدًا صح معه أن يستخلص من فلان هذا صديقًا آخر مثله في الصداقة.

٢- ومنه ما يكون التجريد فيه حاصلاً بلفظة **«الباء»** التجريدية الداخلة على المنتزع منه، نحو قولهم: **«لئن سألت فلانًا لتسألن به البحر»**، وهذا القول يقال في مقام المبالغة في وصف**«فلان»** بالكرم، حيث انْتُزِع وجرد منه بحر في الكرم والسماحة.

٣- ومنه ما يكون التجريد فيه حاصلاً بلفظة **«باء المعية»**الداخلة على المنتزع نحو قول الشاعر:

وشوهاء تعدو بي إلى صارخ الوغى بمستلئم مثل الفنيق المرحل [(٢)]

فالمعنى: ورب فرس هذه صفتها تعدو بي لنجدة المستغيث في الحرب ومعي من نفسي آخر مستعد للحرب. فقد بالغ في اتصافه بالاستعداد حتى انتزع وجرد من نفسه مستعدًا آخر لابسًا درعًا.

٤- ومنه ما يكون التجريد فيه حاصلاً بدخول لفظة **«في»**علي المنتزع منه، نحو، قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ [فصلت:٢٨]، أي لهم في جهنم، وهي دار الخلد، لكنه انتزع دارًا أخرى مثلها وجعلها معدة في جهنم لأجل الكفار تهويلاً لأمرها، ومبالغة في اتصافها بالشدة.

٥-ومنه ما يكون التجريد فيه حاصلاً بدون توسط حرف، كقول قتادة بن مسلمة الحنفي:

---

(١) **حميمك**: قريبك الذي تهتم لأمره.

(٢) **وشوهاء**: فرس شوهاء، وشوهاء في الموضوع صفة محمودة، ويراد بها سعة أشداق الفرس، وصارخ الوغى: أي المستغيث في الحرب، والمستلئم: لابس اللأمة وهي الدرع والفنيق: الفحل المكرم عند أهله والمرحل: من رحل البعير أشخصه من مكانه وأرسله.

فلئن بقيت لأرحلن بغزوة تحوي الغنائم أو يموت كريم

فالشعر قد عنى «بالكريم» هنا نفسه، فكأنه انتزع وجرد من نفسه كريمًا مبالغة في كرمه. وقيل: إن التقدير «أو يموت مني كريم»فيكون من قبيل: «لي من فلان صديق حميم» فلا يكون قسمًا آخر، وإنما يكون من القسم الأول الذي يكون التجريد فيه حاصلاً بدخول «من» التجريدية على المنتزع منه.

٦- ومنه ما يكون التجريد فيه حاصلاً بطريق الكناية، كقول الأعشى:

يا خير من يركب المطى ولا يشرب كأسًا بكف من بخلا

ففي البيت تجريد بطريق الكناية حيث انتزع وجرّد من الممدوح جوادًا يشرب هو بكفه عن طريق الكناية، لأنه إذا نفى عنه الشرب بكف البخيل فقد أثبت له الشرب بكف كريم. ومعلوم أنه يشرب بكفه، فهو ذلك الكريم.

٧- ومن أقسام التجريد كذلك مخاطبة الإنسان نفسه، وذلك بأن ينتزع الإنسان من نفسه شخصًا آخر يوجه الخطاب إليه، كقول المتنبي:

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم يسعد الحال [1]

فالشاعر هنا ينتزع من نفسه إنسانًا آخر يخاطبه قائلاً: ليس عندك من الخيل والمال ما تهديه إلى الممدوح جزاء له على إحسانه إليك فليسعدك ويعنك النطق، أي فامدحه، وجازه بالثناء عليه، إن لم تعنك الحال على مجازاته بالمال أو الخيل.

ومثله في مخاطبة النفس قول الأعشى:

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق فراقًا أيها الرجل؟

ومن لطيف التجريد قول المعري:

ماجت نمير فهاجت منك ذا لبد والليث أفتك أفعالاً من النمر

وقد عرض ضياء الدين بن الأثير للتجريد فعرفه أولاً لغة بقوله:

«إن أصله في وضع اللغة من جردت السيف إذا نزعته من غمده، وجردت فلانًا نزعت ثيابه. ومن هنا قال ﷺ: «لا مد ولا تجريد»، وذلك في النهي عند إقامة الحد أن يمد صاحبه على الأرض وأن تجرد ثيابه. وقد نقل هذا المعنى إلى نوع من أنواع البيان.

---

(١) الإسعاد: الإعانة.

ثم عرفه اصطلاحا بقوله: «التجريد هو أن تطلق الخطاب على غيرك ولا يكون هو المراد وإنما المراد نفسك».

وللتجريد عنده فائدتان إحداهما أبلغ من الأخرى، فالأولى طلب التوسع في الكلام، فإنه إذا كان ظاهره خطابًا لغيرك وباطنه خطابًا لنفسك، فإن ذلك من باب التوسع، وهو يظن أنه شيء اختصت به اللغة العربية دون غيرها من اللغات.

والفائدة الثانية هي الأبلغ عنه، وذلك أن المخاطب يتمكن بالتجريد من إجراء الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه؛ إذ يكون مخاطبًا بها غيره فيكون أعذر وأبرأ فيما يقوله غير محجور عليه.

وعنده ان التجريد ياتي على ضربين:

١-**تجريد محض**: وهو أن تأتي بكلام هو خطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك، كقول بعض المتأخرين وهو الشاعر المعروف بالحيص بيص في مطلع قصيدة له:

إلام يراك المجد في زيّ شاعر ... وقد نحلت شوقًا فروع المنابر؟
كتمت بعيب الشعر حلمًا وحكمة ... ببعضهما تنقاد صعب المفاخر
أما وأبيك الخير إنك فارس الـ ... ـمقال وميحي الدارسات الغوابر
وإنك أعييت المسامع والنهى ... بقولك عما في بطون الدفاتر

ثم يعلق على ذلك بقوله: «فهذا من محاسن التجريد. ألا ترى أنه أجرى الخطاب على غيره وهو يريد نفسه، كي يتمكن من ذكر ما ذكره من الصفات الفائقة، وعد ما عده من الصفات التائهة [(١)]؟ وكل ما يجيء من هذا القبيل فهو التجريد المحض».

٢-**وتجريد غير محض**: وهو أن تأتي بكلام هو خطاب لنفسك لا لغيرك، ثم يستطرد ابن الأثير فيقول: **«ولئن كان بين النفس والبدن فرق إلا أنهما كأنهما شيء واحد لعلاقة أحدهما بالآخر»**.

والفرق عنده ظاهر بين هذين الضربين من التجريد، فالأول وهو المحض يسمى تجريدًا لأن التجريد لائق به، أما الثاني غير المحض فهو نصف تجريد، لأنك لم تجرد به نفسك شيئًا، وإنما خاطبت نفسك بنفسك كأنك فصلتها عنك وهي منك. ومن أمثلة

(١) **التائهة هنا**: صفة مشتقة من التيه بمعنى الصلف والكبر والزهو، وليست مشتقة من **«التيه»** مصدر تاه يتيه في الأرض بمعنى ضل فيها وتحير.

التجريد غير المحض عنده قول عمر بن الأطنابة:

أقول لها وقد جشأت وجاشت رويدك تحمدي أو تستريحى

ومنه قول شاعر آخر:

أقول للنفس تأساء وتعزية إحدى يدي أصابتني ولم ترد

وليس في هذا ما يصلح أن يكون خطابًا لغيرك كالأول، وإنما المتكلم هو المخاطب بعينه، وليس ثم شيء خارج عنه. أما التجريد الذي قصد به التوسع خاصة، وهو ما كان ظاهره خطابًا لغيرك وباطنه خطابًا لنفسك فقد مثل له ابن الأثير بقول الصمة بن عبد الله من شعراء الحماسة وهو:

حننت إلى ريا ونفسك باعدت مزارك من ريا وشعباكما معا
فما حسن أن تأتي الأمر طائعًا وتجزع إن داعي الصبابة أسمعا
وأذكر أيام الحمى ثم أنثني على كبدي من خشية أن تصدعا
بنفسي تلك الأرض ما أطيب الربا وما أحسن المصطاف والمتربعا!

فالبيتان الأولان يدلان على أن المراد بالتجريد فيهما هو التوسع؛ لأن الخطاب فيهما تجريدي إذ وجه الخطاب لغيره وهو يريد شخصه، ثم انتقل من الخطاب التجريدي إلى خطاب النفس في البيتين الأخيرين، ولو استمر على الحالة الأولى لما قضى عليه بالتوسع، وإنما كان يقضي عليه بالتجريد البليغ الذي هو الطرف الآخر، وكان يتأول له بأن غرضه من خطاب غيره أنه ينفي عن نفسه سمعة الهوى ومعرة العشق؛ لما في ذلك من الشهرة والغضاضة، لكنة قد أزال هذا التأويل بانتقاله عن التجريد أولاً إلى خطاب النفس [١].

* * *

(١) انظر في مواضع التجريد، كتاب المثل السائر لابن الأثير ص: ١٦٥- ١٦٧ .